



Democracy Between Politics and Reality

Said Boutchakkoucht

EasyChair preprints are intended for rapid dissemination of research results and are integrated with the rest of EasyChair.

July 9, 2021

الديمقراطية بين السياسة والواقع
إعداد الباحث سعيد بوتشكوشت دكتور في القانون الخاص.



ملخص المقال:

كثر الحديث في العقود الأخيرة عن مصطلح الديمقراطية كآلية سياسية لتداول السلطة، ولتحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية الاقتصادية واحترام الحقوق والحريات. حتى أصبح الأمر جزءاً من ثقافة شائعة راسخة. لكن بالموازاة مع ذلك تعددت الإضطرابات الاجتماعية من مظاهرات واحتجاجات. ففي فرنسا هناك "السترات الصفراء" للمطالبة بالعدالة الاجتماعية وحرية التعبير. وفي أمريكا مظاهرات لمناهضة العنصرية وقتل الأمريكيين من أصول إفريقية. أما في شمال إفريقيا فالمطالب الاجتماعية تغطي على الساحة السياسية مع المطالبة بالتغيير السياسي في الجزائر وبدولة مدنية.

وأمام هذه المتناقضات؛ ما بين الإستعمال السياسي وشعارات الديمقراطية. وبين التطبيقات العملية لهذا المفهوم على أرض الواقع، تنوه الدراسات والأبحاث السياسية.

الكلمات المفتاحية:

الديمقراطية- الإضطرابات الاجتماعية - النموذج التنموي - الناخب - أوليغارشي.

مقدمة:

من نافذة القول ربط السلطة بالنمو الإقتصادي الذي تنتجه الأجهزة التي تعمل معها¹. وعليه كان البحث في موضوع الديمقراطية والتنمية الإقتصادية والإجتماعية في أي مجتمع كان، يحتل مكانة وأهمية كبرى على المستوى العلمي والعملية. وذلك لكون الدولة تجسد الكيان المستمر والدائم للإرادة المجتمعية التي تسعى لتحقيق التنمية. وتعتبر الديمقراطية منظورا جدليا ذو سياق سوسيو-سياسي مزدوج ومتكامل².

فالديمقراطية مزيج من واقع النخب السياسية، ودرجة الوعي المجتمعي، وطبيعة الثقافة السياسية ونسيج المجتمع. التي تتفاعل فيما بينها من أجل تداول أو انتقال سلس للسلطة في الدولة. في احترام للهندسة الدستورية والتراكمات المهمة التي عاشتها، والإصلاحات التي تسعى لتحقيقها؛ سواء الحقوقية منها أو القانونية أو السياسية. وقد كثر الحديث في العقود الأخيرة عن مصطلح الديمقراطية كآلية لتحقيق العدالة الإجتماعية، والتنمية الإقتصادية، واحترام الحقوق والحريات. لإرتباطها ب الإنسان؛ هذا الموجود المرن الذي يخضع لأفكار الآخرين وانطباعاتهم في المجتمع. ويكون قادرا أيضا على معرفة طبيعته الخاصة إذا ما دل عليها. ويفقد حتى الشعور بها إذا أخفيت عنه³. وأصبحت بذلك الديمقراطية جزءا من ثقافة شائعة راسخة. وباتت حاضرة بكثافة في الخطابية الرسمية مثل: التعددية، والآخر، والحرية، وحقوق الإنسان، والمساواة، وحقوق المرأة... الخ.

لكن بالموازاة مع ذلك تعددت الإضطرابات الإجتماعية من مظاهرات واحتجاجات. ففي فرنسا هناك "السترات الصفراء" للمطالبة بالعدالة الإجتماعية وحرية التعبير. وفي أمريكا مظاهرات المناهضة العنصرية وقتل الأمريكيين من أصول إفريقية. أما في شمال إفريقيا فالمطالب الإجتماعية تطغى على الساحة السياسية، مع المطالبة بالتغيير السياسي في الجزائر وبدولة مدنية. وهو ما يمكن اعتباره آلية ديمقراطية تتمثل في حق إعتراض الشعب، والذي يعني عدم تنازل الشعب عن عرشه أبدا⁴. بينما يعتبرها بيل غيتس: "أعتقد أن الإحتجاج شيء قوي جدا. إنه في الأساس آلية من آليات الديمقراطية التي جنبا إلى جنب مع الرأسمالية والإبتكار العلمي"⁵. ما يدعو للتساؤل عن سبب المواجهة بالعنف لتفريق المتظاهرين والمحتجين.

إن هذا التناقض يوحي بوجود إشكالية جوهرية واختلاف كبير في عمق التسمية؛ بين الإستعمال السياسي للمصطلح وما يكرسه الواقع الإجتماعي من مفارقات. خاصة وأن هذا المفهوم في شموليته وتمثالاته وتقلباته السياسية يحمل أكثر من توجه. وكفرضية له لا بد من الفصل بينهما وتحديد معاني دقيقة للديمقراطية. والكف عن التضييل العام للمصطلح. وهو الأمر الذي سنحاول مقارنته من خلال شق أول يتعاطى مع ماهية الديمقراطية كتوظيف سياسي لتحقيق أهداف خاصة باسم الشعب. على أن نعرض لبعض مظاهر الديمقراطية السياسية في الحياة العامة ثانيا.

¹ - ميشيل فوكو- المراقبة والمعاقبة.. ولادة سجن- مطبعة ونشر كاليمار فرنسا 1975، على الرابط www.Noor.book.com،
² عبد الواحد نوبب- الإنتقال الديمقراطي والتنمية بالمغرب؛ من الإصلاح الدستوري إلى النموذج التنموي الجديد- مجلة قراءات علمية في الأبحاث والدراسات القانونية والإدارية، العدد الرابع، أبريل 2021، ص430.
³ - مونتيسكيو - روح القوانين- ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي المملكة المتحدة 2017، ص 44. على الرابط: www.hindawi.org، تم التصفح بتاريخ 2021/06/22 على الساعة 14 و00د.
⁴ - أرسطو طاليس- السياسة- ترجمة أحمد لطفي السيد، ط 1، منشورات الجمل بغداد- بيروت 2009، ص 88. على الرابط: www.foulabook.com، تم التصفح بتاريخ 2021/06/18 على الساعة 14 و30د.
⁵ - <https://www.net.site> visité le 13/06/2021 à 11h00.

أولاً: الديمقراطية بين التأصيل والنظرية

من خلال الديمقراطية يصبح الإنضباط صيغة عامة للسيطرة في استغناء عن تملك الجسد. وذلك لضبط المجتمع اقتصاديا واجتماعيا⁶. فعن طريقها يمكن للسلطة أن تزيد من قوتها بدل تنمية قوى المجتمع؛ من خلال مصادرتها أو لجمها. ما يدعو للتساؤل عن مفهوم الديمقراطية(أ). على أن نعرض لحقيقتها العملية في صورها الجديدة (ب).

أ: مفهوم الديمقراطية

تعني الديمقراطية نظاما سياسيا يحكم الشعب فيه نفسه بنفسه⁷. وعليه فالشعب هو من يسن القوانين ويصوت عليها. إلا إنه وبتصفح الواقع وما يصاحبه من اضطرابات اجتماعية هنا وهناك. يتضح وجود صعوبة ومشكل في التفريق بين أصل المفهوم وتطبيقاته. حيث ينشغل السياسيون بتصوراتهم وسياساتهم على خلاف الواقع. ما يطرح التساؤل عن أصل هذا المصطلح (1). ونسقه السياسي (2).

1: التأصيل التاريخي لمصطلح الديمقراطية

تعرف الديمقراطية تاريخيا على أنها نموذج جديد في ممارسة السلطة يختلف عن الأنظمة السابقة؛ كنظام الملك والأمراطور والإله. حيث يجتمع المواطنون ويشتركون في اتخاذ القرارات اللازمة⁸. وبدأت هذه النظرية السياسية مع المجتمع الآثيني(1-1). ثم شهدت بعدها مراحل كثيرة إلى أن بلغت ما أصبحت عليه اليوم(1-2).

1-1: ديمقراطية أثينا

يرجع أصل الديمقراطية إلى المجتمع الآثيني الذي كان يعتبر أفراده سواسية. وعليه كان يختار من بينهم الطبقة السياسية التي تحكم البلاد عن طريق الإقتراع. إلا إن أفراد المجتمع الآثيني لم يعن كافة الأفراد. بل يعتبر الشعب لدى اليونان مجموع السكان الذين تتوفر فيهم شروط المواطنة: كالإنتماء العائلي والسن والتجنيد. وكان الشعب اليوناني المعني يتميز بقلّة عدد أفراده. حيث لم يكن أرسطو ولا الطبيب أبقراط من المواطنين⁹. رغم أن أرسطو هو القائل: "إن الديمقراطية هي حالة يملك فيها الأحرار والفقراء زمام السلطة في الدولة"¹⁰. وكان له في كتابه "السياسة" السبق في الحديث عن أسباب تنوع الديمقراطية أمل الشعوب بالقول: "إن وجود أنواع من الديمقراطية له علتان: أحدهما اختلاف سيرة الناس في حياتهم الإجتماعية؛ لأن بعض الأقسام تعيش على الزراعة، وبعضها الآخر يتكون من عمال وأرباب عمل. والديمقراطيات المتولدة من كل قوم من هذه الأقسام ستختلف بالطبع عن الأخرى. ولو اجتمعت المجموعة الأولى إلى الثانية وشكلوا فيما بينهم مجتمعا ثالثا، فإن الإختلاف بين هذا المجتمع الثالث الجديد سوف لا يكون على شكل اختلاف حكومة ديمقراطية أفضل أو أتعس بل ستكون حكومة ديمقراطية من نوع جديد.

⁶ - سعيد بوتشكوشت- القانون والفعل العمومي: بين إعادة التمركز والإمتداد- easycheat, N°5026, February 25, 2021, P2.

⁷ - أرسطو طاليس- السياسة- ترجمة أحمد لطفي السيد، ط 1، منشورات الجمل بغداد- بيروت 2009، ص 56 على الرابط: www.foulabook.com، تم التصفح بتاريخ 2021/06/18 على الساعة 14 و30د.

⁸ - علي الدين هلال- مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث- مركز دراسات الوحدة العربية لبنان 2002، ص64.

⁹ - امحمد مالكي- القانون الدستوري والمؤسسات السياسية؛ المفاهيم الأساسية- ج 1، ط2، تينمل للطباعة والنشر مراكش، 1994/1993، ص203.

¹⁰ - من كتابه السياسة- هو نفسه.

وأما العلة الثانية فتتمثل في أن التركيبات المختلفة للمنظمات المختصة بالديمقراطية هي السبب في ولادة أنواع من الديمقراطية؛ لأنه ربما يحوز نوع من أنواع الديمقراطية على هذه الخصائص بمقياس أقل والآخر بمقياس أكبر، والثالث جامع لجميع تلك الخصوصيات. وقراءة كل واحد من هذه الخصوصيات يساعدنا على إيجاد أنواع جديدة من الديمقراطية، وكذلك يساعدنا في إصلاح الأنواع الموجودة فعلاً¹¹.

ويبدو أن الديمقراطية نمط سياسي في الحكم يمكن أن يختلف من مجتمع لآخر، ومن دولة لأخرى. إلا أنها جميعها تجتمع في كون الشعب هو من يملك السلطة. بينما يعمل الحكام على تحقيق رفاهية الشعب وليس رفاهيتهم. أما تحقيق المصالح الخاصة للحكام والمسؤولين وذوي النفوذ دون رقابة ولا محاسبة، وادعاء وجود الديمقراطية من خلال السماح للجمعيات والحريات التي لا تمت إلى السلطة بصلة. فنعتقد أنه أولغرشية تسلطية لا علاقة لها بالديمقراطية.

وبعد أفول الديمقراطية الآتينية مر التاريخ البشري بأزمات حقيقية. وشهدت المجتمعات البشرية تطورات مختلفة على ساحة الفكر والعقيدة. حيث انتشرت الإمبراطوريات والديكتاتوريات، ثم الأولغرشيات التي تزعمها النبلاء والإقطاعيون. إلى أن تولدت مرة أخرى في عهد النهضة الأوروبية وتسمت بمسميات مختلفة¹².

1-2: الديمقراطية الليبرالية الجديدة

استعمل لفظ الديمقراطية منذ سنة 1830 لتضليل الرأي العام بكونه يملك السلطة¹³. واستمرت هذه الكذبة إلى يومنا هذا. حيث إنه وفي إعلان الإستقلال الأمريكي لسنة 1776¹⁴ أو إعلان حقوق الإنسان والمواطن في أعقاب الثورة الفرنسية سنة 1789¹⁵ لا وجود لمصطلح الديمقراطية أو استعمالها. إذ اقترن مصطلحها بالشباب ما بين سن العشرين والخمسة والعشرين حيث المثالية والمجازفة. وفي بريطانيا مع ثورة 1688 من خلال متطلبات الحرية والرأسمالية والحرية السياسية.

حيث إنه لو كانت هناك ديمقراطية لكان الشعب هو من يقترح القوانين ويضعها، ويصوت عليها من خلال استفتاء أو اقتراع وتصويت. وعليه فمن يضع القوانين ويصوت عليها هم طبقة من السياسيين المحترفين من الطبقة العليا في المجتمع، أو موظفون سامون لا يمثلون الشعب. وبعد ذلك تمرر للمصادقة عليها داخل المؤسسات الدستورية المنتخبة، حسب المصالح الفئوية الضيقة أو التوجهات السياسية، أو المشاركة في تقسيم الأهداف والأرباح.

وهناك من أرجعها إلى تحالف البورجوازية المثقفة مع الطبقات الشعبية ضد الأرستقراطية¹⁶. أو تحالف الأرستقراطية والطبقة المتوسطة والطبقات الشعبية ضد الملكية المطلقة. كما كان عليه الأمر في انكلترا بين الملك

11 - أرسطو طاليس- السياسة- م س، ص 260.

12 - هاشم مرتضى- الديمقراطية؛ وجهات نظر إسلامية- ط1، مركز أور للدراسات، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد 2008، ص27.

13 - لمزيد من المعلومات يراجع: تاريخ الديمقراطية: حكم القوانين لا حكم الأشخاص، المركز الديمقراطي العربي بتاريخ 24 مارس 2020، على الرابط: www.democratie.de، تم التصفح بتاريخ 2021/07/08 على الساعة 12 زوالاً.

14- ar.wikipedia.org. site visité le 08/07/2021 à 13h00.

15- political-encyclopedia.org. site visité le 08/07/2021 à 13h30.

16 - أحمد حضرائي- القانون الدستوري والمؤسسات السياسية- ط1، مطبعة سجالماة مكناس 2005، ص186.

جون والبارونات¹⁷. وكذا النزاع الذي دار بين الملك شارل والبرلمان الإنجليزي. ونفس الأمر عرفته فرنسا؛ حيث عبر الملوك الفرنسيين؛ الملك لويس الرابع عشر "الدولة أنا..". والملك لويس الخامس عشر: "في شخصي وحدي تستقر السلطة العليا، وإلي وحدي تعود السلطة التشريعية دون ارتباط أو مشيئة، وعني يصدر النظام العام كله، وحقوق الأمة ومصالحها هي بالضرورة متحدة مع حقوقي ومصالحها ولا تستقر إلا في يدي"¹⁸.

وتعتبر الديمقراطية الليبرالية النظام السياسي الذي نفض على أساسه نظم الحكم في كل من أوروبا الغربية وأمريكا. ثم انتشر في أرجاء العالم بعد سقوط وانحيار الإتحاد السوفيياتي لتصبح جزءا من الثقافة المرتبطة بالتحويلات السياسية التي يشهدها عالمنا المعاصر¹⁹. ففي الديمقراطيات كل الحقوق مشتركة على عكس الأوغرشييات²⁰. فلا تكون الديمقراطية حيث تحكم الأقلية التي لها السيادة، وتتكون من الأغنياء والأشراف²¹. والتي تضع الفرد في مكانة مطلقة أعلى من الجماعة. وتعطي الأولوية للمصالح الشخصية على المصالح الاجتماعية. إذ وقفت ضد تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي والاجتماعي. وطالبت بأن تكون مجرد حارس للحريات الفردية لردع أي اعتداء عليها²².

وكانت الليبرالية مصدر إلهام الديمقراطية التي أفضت إلى الانتقال من العالم القديم إلى العالم الجديد. حيث أخذت القوانين مكانها بدل التقاليد الطبقية. واستبدلت الحاكمة الإلهية والحاكمة الطبيعية بالحاكمة الوطنية. وحل الاعتقاد بالتعالى والتقدم على أساس العقل²³. حيث تؤكد الديمقراطية الليبرالية الجديدة على تقدم الحرية على المساواة والعدالة الاجتماعية. ما يعني أنه لا يمكن سحق الحريات الأصيلة أو تحديدها من أجل إيجاد المساواة والعدالة الاجتماعية²⁴.

2: النسق السياسي للديمقراطية

تبقى الديمقراطية من المسائل الفكرية السياسية البالغة الأهمية التي ينبغي التوقف عند أغوارها . وينبغي رفع الخلط الذي وقع بين المفهوم من جهة وأشكال تحقيقه ووجوده في الواقع العملي من جهة أخرى (2-1)، حيث اعتبروها بضاعة غربية أو أمريكية. إلا إنها تبقى كشكل من أشكال الأداء السياسي للسلطة (2-2).

1-2: المفهوم السياسي للديمقراطية

يقول "آنتوني آرلاستر": "إن الديمقراطية قبل أن تكون حقيقة واقعية هي مفهوم من المفاهيم. وبما أنها مفهوم فليس لها معنى دقيق ومتفق عليه. فالديمقراطية لها معان مختلفة كثيرة، ومفاهيم ضمنية متعددة في طول

17 - يلاحظ تاريخ الديمقراطية: حكم القوانين لا حكم الأشخاص، تحت عنوان: تاريخ الديمقراطية والتجربة البشرية بين الغرب والشرق، المركز الديمقراطي العربي بتاريخ 24 مارس 2020، على الرابط: www.democratie.de، تم التصفح بتاريخ 2021/07/08 على الساعة 12 زوالا.

18 - علي الدين هلال- مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث- م س، ص 68.

19 - علي الدين هلال- أزمة الفكر الليبرالي في الوطن العربي- عالم الفكر، المجلد 26، العدد 3 و4، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، 1998، ص 109.

20 - أرسطو طاليس- السياسة- ترجمة أحمد لطفي السيد، ط 1، منشورات الجمل بغداد- بيروت 2009، ص 268 على الرابط: www.foulabook.com، تم التصفح بتاريخ 2021/06/18 على الساعة 14 و30د.

21 - أرسطو طاليس- السياسة- ترجمة أحمد لطفي السيد، ط 1، منشورات الجمل بغداد- بيروت 2009، ص 333 على الرابط: www.foulabook.com، تم التصفح بتاريخ 2021/06/18 على الساعة 14 و30د.

22 - رمزي زكي- الليبرالية الجديدة تقول: وداعا للطبقة الوسطى- عالم المعرفة، المجلد 25، العدد 2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1996، ص 32.

23 - هاشم مرتضى- الديمقراطية؛ وجهات نظر إسلامية- م س، ص 50.

24 - هاشم مرتضى- الديمقراطية؛ وجهات نظر إسلامية- م س، ص 62.

تاريخها. وفي هذا العصر هناك أشكال مختلفة للديمقراطية ضمن الأنظمة الإجتماعية والإقتصادية المختلفة²⁵. إلا إننا نرى أنها تتكون من ركنين أساسيين هما: سيادة الناس في تنصيب الحاكم وعزله. وسيادة الناس في التقنين والتشريع. بينما تبقى الأمور الأخرى كتعدد الأحزاب، الإنتخابات، فصل السلط، البرلمان والحريات، هي امتدادات للديمقراطية. ما يعني أن الديمقراطية هي سلطة الشعب في تعيين الحاكم وعزله. وتنظيم الحياة العامة بالقوانين والشرائع.

ومن خلال الأنظمة السياسية المعتمدة للديمقراطية كآلية لتداول السلطة، يمكننا التمييز بين الأرستقراطية التي تعني الأفضل في السلطة. حيث تتولى الطبقة العليا في المجتمع وضع القوانين والتصويت عليها. أو حكم الأقلية.

وعلى العموم فالديمقراطية في أصلها ترجع إلى أسلوب الحكم مشخص في فئة قليلة (أقلية) كما ينظر لها الليبراليون. بينما يرى الماركسيون أنها حكم طبقة محددة (أغلبية). ويربطها المنظور الإسلامي بالشورى وأهل الحل والعقد والعدل والإنصاف. بينما هناك من أرجعها بوصفها أجدية الإجتماع السياسي المدني²⁶. وأنها الإدارة الوحيدة الناجحة للتعدد²⁷، وعقيدة الطبقات في المجتمع إزاء سيطرة الطبقات الأكثر غنى وقدرة²⁸. ويرى مونتسكيو أنه إذا كانت السلطة ذات السيادة في الجمهورية قبضة الشعب جملة سمي هذا ديموقراطية. وإذا كانت السلطة ذات السيادة قبضة فريق من الشعب سمي هذا أريستوقراطية²⁹.

وعلى العموم يمكن اعتبارها من معطيات التجربة التاريخية التي تتلون بألوان العصر والمكان. وبالخصائص النوعية للأمة والشعب الذي أبدعها وطورها أو تعاطى معها أو التزمها³⁰؛ لأن الديمقراطية هي المقياس العالمي لأهلية الدول وحكوماتها في القرن الحادي والعشرين، وليس القوة المالية غير المنتجة.

وقد قامت الديمقراطية على مستوى التطبيق والممارسة في الأنظمة الديمقراطية؛ على عدة أسس منها:

- التعددية السياسية المتمثلة في تعدد الأحزاب السياسية لتداول السلطة بينها؛
- القرار السياسي كثمره للتفاعل بين كل القوى السياسية ومن ثم الوصول إلى حل وسط؛
- احترام مبدأ الأغلبية كأسلوب لإتخاذ القرارات والحسم بين وجهات النظر المختلفة؛
- المساواة السياسية؛ حيث يمكن للشعب أن يغير من يحكمه إذا فقد الثقة فيه أو وجد من هو أصلح منه³¹؛
- مفهوم الدولة القانونية من خلال وجود دستور والفصل بين السلطات، خضوع الحكام للقانون، انفصال الدولة عن شخص حكامها، تدرج القواعد القانونية، إقرار الحقوق الفردية للمواطنين وتنظيم الرقابة التشريعية والقضائية على الهيئات الحاكمة. إلا إننا نلاحظ غياب أهم عنصر وهو التوزيع العادل للثروات

25 - أربلاستر أنتوني - ديمقراطية؛ مفاهيم في الفكر الاجتماعي - ط2، جامعة مينيسوتا الولايات المتحدة، 1994، ص14.
26 - عبد الرزاق عيد، محمد عبد الجبار - الديمقراطية بين العلمانية والإسلام - ط1، دار الفكر المعاصر القاهرة، 1999، ص11.
27 - عبد الإله بلقزيز - في الديمقراطية وحق الاختلاف - مجلة المنطلق 1998، العدد 115، ص23.
28 - علي الدين هلال - مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث - مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان 2002، ص43.
29 - مونتيسكيو - روح القوانين - ترجمة عادل زعبيتر، مؤسسة هنداوي المملكة المتحدة 2017، ص59. على الرابط: www.hindawi.org، ثم التصفح بتاريخ 2021/06/22 على الساعة 14 و00د.
30 - جاد الكريم الطباعي - أفكار أولية في الديمقراطية السياسية - مجلة الوحدة غشت 1988، العدد 47/46، ص166 و167.
31 - علي الدين هلال - مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث - مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان 2002، ص71.

والموارد في المجتمع. مما يؤثر على تكافؤ الفرص بين الأفراد³². وينذر بوجود بصمة الليبرالية التي تعني أنها ذاتها الديمقراطية كما يجب الأغنياء وذوو النفوذ أن يستعملوها.

غير إن حب الديمقراطية هو حب القناعة أيضا. وبما أنه يجب أن يكون لكل واحد فيها السعادة ذاتها والمنافع ذاتها وجب أن يتمتع كل واحد فيها بالملاذ ذاتها. وأن يوجد فيها ذات الآمال. وهذا أمر لا ينتظر من غير القناعة العامة. وحب المساواة في الديمقراطية يقصر طموح المرء على رغبته الوحيدة وعلى سعادته الوحيدة في تقديم أعظم الخدم إلى وطنه، أكثر مما يقدمه أبناء الوطن الآخرون. ولا يستطيع جميع هؤلاء أن يقدموا خدما متساوية إلى الوطن³³ ما دامت هناك فوارق طبقية واجتماعية وسياسية واقتصادية.

2-2: الأداء السياسي في الديمقراطية

يبقى جوهر الديمقراطية كنسق سياسي هو البحث في طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم (طبيعة الدولة).

أي الفئة التي تسيطر على معطيات سلطة اتخاذ القرار والفئة المحكومة، التي يقع عليها واجب الإلتزام بالقرارات والسياسات التي يتم إقرارها³⁴. وهو ما يفرض حتما خلق توازن بين السلطة والحرية. وبين الواجبات والحقوق بين الدولة والمجتمع المدني³⁵.

هذا الأمر يجزنا للحديث عن الإمبريالية والليبرالية التي تتعارض قيمها ومفاهيمها معها. إلا إنهما المنظومتين الأكثر استعمالا للديمقراطية كمصطلح لمواجهة الآخر بكونه غير ديمقراطي. ولأغراض سياسية يمكن أن يستعملها الغني ضد الفقير، والظالم ضد المظلوم حماية لمكتسباته في الحالة التي تتم فيها مطالبته بتحقيق العدالة الإجتماعية. ومن بين الأمثلة على ذلك ما ذكره لحبيب بورقيبة: "سأفرض حرية المرأة وحقوقها بقوة القانون.. لن أنتظر ديمقراطية شعب من المنحدرين بالثقافة الذكورية باسم الدين". وهو ما يتجلى أيضا من خلال مفارقات المشهد السياسي التونسي. فالمظاهرات الشعبية انطلقت منذ فبراير 2021 ضد بعض القرارات السياسية ذات الطبيعة الإقتصادية والإجتماعية: همت رفع الدعم عن مجموعة من المواد الأولية، وانتشار الفقر والبطالة. في نفس الوقت الذي تعيش فيه الطبقة السياسية الغنى والترف.

وفي الدولة الديمقراطية؛ دولة الحق والقانون، يمكن اعتبار هذه المظاهرات تعبيرا من الشعب على غضبه من الأداء الحكومي. فلماذا تقابل هذه التظاهرات بعنف زائد في انتهاك لحقوق الإنسان حسب المنظمة الدولية لحماية حقوق الإنسان؟. ناهيك عن الأزمة الدستورية السياسية بين رئيس الدولة ورئيس الحكومة. وكل متشبه برأيه السياسي ويرفض التنازل عن سيادته الدستورية والقانونية. بينما يدفع الشعب ثمن هذه الديمقراطية المتفردة على مستوى إفريقيا والعالم العربي كما يقال. والتي وصلت إلى حد متابعة مواطنين مغردين على صفحات التواصل

32 - ثناء فؤاد عبد الله- الديمقراطية بين المفهوم والممارسة- مدلة الديمقراطية، العدد 5، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة 2002، ص295.

33 - مونتيسكيو- روح القوانين- م س، ص110.

34 - أحمد حضرائي- القانون الدستوري والمؤسسات السياسية- ط1، مطبعة سجلماسة مكناس 2005، ص187.

35 - علي الدين هلال - مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث- مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان 2002، ص35.

الإجتماعي ضد الرئيس التونسي في قضايا مدنية، قد تصل إلى جرائم السب والشتيم أمام القضاء العسكري. وهو ما اعتبره حقوقيون مسا بحرية التعبير وانحرافا عن المسار الديمقراطي بتونس³⁶.

وهكذا تكون الديمقراطية حقيقة آلية للعمل السياسي. لا تحمل في طياتها أي محتوى فلسفي أو إيديولوجي، شأنها شأن باقي الآليات التي يستخدمها الإنسان لنيل مآربه المختلفة. والتي يجب أن تحمل في طياتها سيادة الشعب؛ سواء من خلال تنصيب الحاكم أو عزله أو من خلال التقنين والتشريع. وبذلك تعصم المجتمع من الوقوع في الإستبداد والدكتاتورية، وتحمل بذلك على عاتقها تصحيح شكل المجتمع لا محتواه³⁷.

ولا يفسد مبدأ الديمقراطية بضياح روح المساواة فقط. بل يفسد بالإفراط في انتحال مبدأ المساواة أيضا. وهو ما يظهر من خلال ما شهده القطر الليبي الشقيق من تناحر على السلطة. مع رفع شعارات توحيد الدولة تحت يافطة الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان. وهو الأمر الذي يحيلنا على ما سبق وأورده معمر القذافي: "ليس هناك دولة ديمقراطية على الكوكب بأسره إلا ليبيا"³⁸. حيث تجلت بالتجربة الواقعية فشل المنظومة الديمقراطية الشعبية التي كان يرفع شعارها.

وتأكيدا لهذا النسق من التحليل نضيف أيضا ما يقع بالجزائر الشقيقة. حيث انتهت الإنتخابات البرلمانية لتاريخ 12 يونيو 2021 بنسبة مشاركة قدرت حسب السلطة ب 30.20 في المائة. وبالرجوع إلى قواعد الديمقراطية وأصولها فهذه النسبة لا يمكنها أن تمثل مجموع الشعب الجزائري. ولا يمكنها أن تسمح بتمثيله في البرلمان واتخاذ القرارات وإنتاج القانون الملزم لكل أفراد الشعب. لأن نسبة التصويت ذاتها تعبير عن إرادة الشعب بالرفض التي لم يتم الأخذ بها.

إلا إن تطبيقات الديمقراطية الشعبية الجزائرية حسب المسؤولين لا تهم فيها أرقام المشاركة في التصويت. بل ما يهم هو العملية ذاتها كآلية ديمقراطية. لتمديد وتداول السلطة حسب ما يقرره الناقدون ومنهم الجيش وثلة من جبهة التحرير الوطني. الذين تحالفوا منذ القدم على نهب ثروات الجزائر وتبديدها على وهم مساعدة الشعوب في حق تقرير المصير، وتنحية الإستعمار، ومحاربة الوحدة في شمال إفريقيا تحقيقا لمصالحهم الشخصية. ما يبدو معه أنها ديمقراطية من إخراج النخبة الحاكمة، تدعي أنها تحظى بدعم ومساندة الشعب.

ب: حقيقة الديمقراطية الجديدة

استنبط أفلاطون وأرسطو منذ القدم أن الحكومات ليست إلا ثلاثة أنواع رئيسية: حكومة الفرد والأرستقراطية (أو حكومة الأخيار) والديمقراطية. حيث لا يفكر الحاكم إلا في الصالح العام. بينما عندما يضحى به الحكام وحاشيتهم لفائدة المصالح الخاصة لفرد أو لطبقة أو حتى الأكثرية؛ يصبح حكم الفرد طغيانا. والأرستقراطية تصير أولغرشية(1). والديمقراطية تسقط في الديماغوجية³⁹ (2). في حين يبقى النظام الإسلامي نمطا وسطا يحمي جميع الأطراف في العلاقة السياسية (3).

³⁶ - أخبار قناة الجزيرة ليوم 2021/07/03 على الساعة 11 و37 د.

³⁷ - هاشم مرتضى- الديمقراطية؛ وجهات نظر إسلامية- ط1، مركز أور للدراسات، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد 2008، ص39.

³⁸ - <https://www.net.site/visite/le-13/06/2021-a-11h00>.

³⁹ - أرسطو طاليس- السياسة- ترجمة أحمد لطفي السيد، ط1، منشورات الجمل بغداد- بيروت 2009، ص 31. على الرابط: www.foulabook.com، تم التصفح بتاريخ 2021/06/18 على الساعة 14 و30 د.

1: حكم الأقلية كآلية ديمقراطية

إن حكم الأقليات "oligarchie" التي هي زيغ للأرستقراطية⁴⁰. بينما يرى فولتير غير ذلك بالقول أن: "البلد المنظم جيدا هو البلد الذي يجعل العدد القليل العدد الكبير يعمل فيه، ويتغذى به ويحكمه"⁴¹. كما هو الأمر في الجزائر حيث يتولى العسكر الحكم وتسيير الأمور من خلال تعيين الرئيس والوزراء.

كما يمكن اعتبار النظام السياسي في فرنسا من نفس الطينة لإعتماده الحكومة التمثيلية. حيث يتم كل خمس سنوات الطلب من الشعب تعيين مجموعة من المنتخبين السياسيين تسمى الطبقة السياسية. وهي المجموعة التي تضع القوانين وتصوت عليها وليس الشعب. وهكذا تتربع قلة من النافذين (السياسيين المحترفين) على زمام الحياة السياسية. فيعينون الرئيس والأطياف الحكومية، من منطلق مبدأ الديمقراطية وحماية مبادئ الجمهورية.

وهذه الجماعة السياسية موضوعها ليس العيشة المادية لأفرادها وحسب بل سعادتهم وفضيلتهم⁴². حيث يساء استعمال مفهوم الديمقراطية من خلال ادعاء الأقلية المدنية أو العسكرية أنها تتمتع بتأييد الشعب. كما إنه في هذه الأولوغرشيات فالوظائف العامة يجب أن توكل لا إلى أناس ممتازين فحسب، بل أيضا إلى أثرياء. فالأجبر لا يمكن أن يصل إلى مراكز الحكم لأنه مفتوح فقط لأولي النصاب العالي⁴³. وفي نفس السياق أوردت مجلة "جون أفريك" أن ابن وزير الخارجية الفرنسي رافق والده إلى الإمارات وشارك في لقاءات الأمن والدفاع رغم أنه لا يملك أية صفة رسمية⁴⁴. وذلك للإنتفاع من الصفقات التي تعقد على هامش اللقاءات.

ونفس الإحتقان السياسي الديمقراطي تعيشه كل من تونس ولبنان. بين تعنت كل من رئيس الدولة ورئيس الحكومة من أجل الحكم. وعليه لا يمكن تأكيد القول الشائع أن الديمقراطية كنسق سياسي هي الأفضل، بل إنها ستار لحكم الأقليات كما قال فتودور هرتزل: "الديمقراطية تعني الفوضى، كيف يمكن أن تثق في أحكام الغوغاء؟"⁴⁵. وقال حمد بن عيسى آل ثاني: "الديمقراطية ليست مجرد قواعد دستورية وتشريعية، بل هي ثقافة وممارسة، وتلتزم بالقوانين وتحترم مبادئ حقوق الإنسان الدولية"⁴⁶. بينما احتزل جورج برنارد شو الديمقراطية في جهاز يحكم على خلاف رغبة الشعب: "الديمقراطية هي جهاز يضمن عدم عيشنا أفضل مما نستحق"⁴⁷.

وهذا الأمر حدى بالبعض إلى إنكارها كجون آر برادلي الذي قال: "إن الديمقراطية المثالية لا وجود لها على أرض الواقع في أي مكان، ولن يكون لها وجود مطلقا"⁴⁸. حيث يزيد الفساد بين المفسدين، ويزيد بين من كانوا قد فسدوا. ولا يدهش المرء إذا ما رأى الأصوات تُشترى بالمال، ولا يُعطى الشعب كثيرا من غير أن يؤخذ منه أكثر من ذلك. وكلما بدا انتفاعه بحريته أكثر من قبل اقترب من الوقت الذي يفقدها فيه. ويتكون طغاة

40 - أرسطو طاليس- السياسة- م س ص 42.

41 - "un pays bien organize est ce lui ou le petit nombre fait travailler le grand nombre, est nourri par lui et le gouverne". Citations.ouest.france.fr, site visité le 28/05/2021 à 14h00.

42 - أرسطو طاليس- السياسة- ترجمة أحمد لطفي السيد، ط 1، منشورات الجمل بغداد- بيروت 2009، ص 211. على الرابط: www.foulabook.com، تم التصفح بتاريخ 2021/06/18 على الساعة 14 و30د.

43 - أرسطو طاليس- السياسة- م س، ص 182 و201.

44 - jeune Afrique du 24/06/2021. د. على الساعة 12 و15 د.

45 - <https://site.visité> le 13/06/2021 à 11h00.

46 - <https://site.visité> le 13/06/2021 à 11h00.

47 - <https://site.visité> le 13/06/2021 à 11h00.

48 - <https://site.visité> le 13/06/2021 à 11h00.

صغار لهم جميع عيوب الواحد، ولا يلبث ما بقي من الحرية أن يصبح أمرا لا يطاق، فيظهر طاغية واحد، ويخسر الشعب كل شيء حتى منافع فساده⁴⁹.

وبهذا الخصوص يقول جان لوك: "إن السياسيين هم وحوش بالقوة، فلا يمتنعون من استلام القدرة وتسخيرها لمنافعهم الشخصية. إذا فالطريق الوحيد لكبح جماحهم هو تقوية المنظمات، والموانع العينية، والإشراف المستمر للشعب. وعلى هذا الأساس فإن السياسيين يجب أن يكونوا تحت نظر الناس وانتخابهم، وإلا فإنهم سيميلون نحو الفساد والإفساد"⁵⁰؛ لأنه كما يرى مصطفى صادق الرافعي أن: "الديمقراطية حالة طبيعية يتم التوصل إليها بمجرد الوصول إلى درجة من توازن القوى، يتم بموجبها قبول الآخر طوعا وكرها"⁵¹.

ويؤكد محمد عابد الجابري أن: "الديمقراطية اليوم ليست موضوعا للتاريخ، بل هي قبل ذلك وبعده ضرورة من ضرورات عصرنا، أعني بما يقوم ضروري لإنسان هذا العصر، هذا الإنسان الذي لم يعد مجرد فرد من رعية، بل يتحدد كيانه بجملة من الحقوق هي الحقوق الديمقراطية التي في مقدمتها الحق في اختيار الحاكمين ومراقبتهم وعزلهم...."⁵².

2: الديمقراطية وحكم الأفضل

حسب أفلاطون أركان السلطان هي: أولا العدل المنظم الأعلى للدولة. ثم النزاهة والمعرفة، والإعتدال والمسؤولية، واحترام القانون. وعليه فالسياسي يجب أن يكون فيلسوفا قبل كل شيء؛ أي حكيما بمقدار ما أوتي أن يكون⁵³.

ففي أمريكا- مهد الديمقراطية الجديدة- وبعد الانتخابات لا بد للمرشح الرئاسي أن يحظى بثقة المجمع الانتخابي. الذي هو مجلس مكون من فئة قليلة من الناخبين يقع على عاتقهم تعيين الرئيس الجديد، ولو بخلاف ما أسفرت عليه النتائج الانتخابية. ما يعني أن اختيارات الشعب تبقى أدنى مرتبة من اختيار الأقلية السياسية النافذة. التي تعتبر الطبقة الأفضل في المجتمع الأمريكي. بل على مستوى العالم الجديد أيضا حيث يحرك الإقتصاد السياسة العالمية. وتترعب على سلطة التسيير الشركات العابرة للحدود تحت مسمى نشر الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان.

وكان مبرر نشر الديمقراطية كافيا لأمريكا للإعتداء على العراق. وطالبت العديد من الدول خاصة العربية والإسلامية باعتماد إصلاحات ديمقراطية. وهكذا تذرعت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في عدوانهما واحتلالهما للعراق بتحريره من نظام ديكتاتوري، وبنشر الديمقراطية وفرض احترام حقوق الإنسان. لكن الممارسات التي واكبت وتلت ذلك من خلال تسرب بعض الصور المذلة والمهينة للأسرى العراقيين لديهم؛ أظهرت مدى زيف هذه الديمقراطية. وكشفت بذلك حجم الهوة الفاصلة بين الخطابات والشعارات التي

49 - مونتيسكيو - روح القوانين - م س، ص 220.
50 - من رسالتي جون لوك، في الحكم المدني، لسنة 1690. على الرابط: www.ar.wikipedia.org، تم التصفح بتاريخ 2021/06/23 على الساعة الرابعة مساء.

51 - <https://www.net.site/visite/le/13/06/2021/11h00>.

52 - محمد عابد الجابري - الديمقراطية وحقوق الإنسان - ط2، مركز دراسات الوحدة العربية لبنان 1997، ص 131.
53 - أرسطو طاليس - السياسة - ترجمة أحمد لطفي السيد، ط 1، منشورات الجمل بغداد- بيروت 2009، ص 23 و 9. على الرابط: www.foulabook.com، تم التصفح بتاريخ 2021/06/18 على الساعة 14 و 30.

ترفعها الأصوات الديمقراطية عبر السبل الترغيبية؛ من خلال تقديم المساعدات وتأمين سياسة الدول في هذا الصدد بواسطة تقارير دورية وسنوية تصدرها. أو عبر طرق زجرية تتأرجح بين تشويه صورة الدول عبر تقارير، أو فرض عقوبات اقتصادية وسياسية بل وعسكرية أحيانا⁵⁴. وهكذا تسعى أمريكا تحت يافطة الديمقراطية إلى الهيمنة على العالم والإبقاء على نظام القطب الواحد. كما يعتبر كذلك التدخل الأمريكي في أفغانستان لفرض حكومة سياسية معينة بالقوة.

وقد تنبأ نابليون بونابرت بديمقراطية أمريكا قائلا: "ويل للعالم حيث تصبح بريرة الديمقراطية الأمريكية سيدة العالم"⁵⁵. ويمكن أن نستدل على نسبة مصداقية هذه المقولة إن على المستوى الخارجي من خلال تدخل أمريكا في شؤون الدول تحت غطاء نشر الديمقراطية. وعلى المستوى الداخلي من خلال وجود الميز العنصري وتنامي الإضطرابات الإجتماعية المرتبطة به. وصل إلى درجة غزو الكونغرس لفرض آراء سياسية على الشعب، وتمديد فترة حكم الرئيس.

وعليه نرى أن حقيقة الديمقراطية هي عملية أكثر منها نظرية. ونستشهد على ذلك بالأحداث والوقائع التي تظهر صنوف فساد الحكومات التي لم تستطع منذ سنوات إخراج بلدانها من الفقر والهشاشة والتخلف. بينما تضخمت ثروات سياسيينهم واستفادت مصالحهم. وهكذا نقيم الدليل على أنه لا يمكن تصديق الشعارات الديمقراطية مع واقع اقتصادي واجتماعي مزر كهذا. فلو أعطيت السلطة للشعب لدافع عن مصالحه في مواجهة طمع الأقليات الغنية والبنكية. لأنه يكون للحكومة الأريستوقراطية من القوة ما ليس للديموقراطية؛ لكونها تتألف من هيئة تقهر الشعب بامتيازها وفي سبيل مصلحتها الخاصة. ويكفي وجود قوانين فيها حتى تنفذ من هذا الوجه⁵⁶.

3: ديمقراطية الإسلام العادلة

تقوم الحياة السياسية في الإسلام على الشورى، وهي أوسع مدى من دائرة الحكم. كما لم يتم تحديد نظام خاص لها. فننطلق من كون الحاكمية لله وحده وهي بذلك تختلف عن جميع الأنظمة البشرية؛ لأن الله وحده هو الذي يشرع⁵⁷. وبالتالي فالحاكم والمحكوم متساوون أمام الله. ولكل منهما مسؤولية: فتتحلى مسؤولية الحاكم في العدل والإستقامة. وللمحكوم الطاعة والقناعة. بينما تجمعهما معا الشورى.

وهذه الديمقراطية في الإسلام لا تدع الثروات تتضخم إلا بقدر الجهد والعمل وحدهما، لا بفضل إتاحة فرص لا تتاح للآخرين. وهي بذلك تحارب اقتصاد الريع. حيث إنه في النظام الإسلامي يجب أخذ فضول الأغنياء لترد على الفقراء وليس العكس فرض الضرائب على الفقراء ليغني الأغنياء. كما وقع في عهد عثمان رضي الله عنه فاعتنت قريش⁵⁸.

⁵⁴ - ادريس لكريني- النداءات الدولية الكبرى لأحداث 11 ستمبر؛ من غزو أفغانستان إلى احتلال العراق- ط1، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش، 2005، ص195 و196.

⁵⁵ - <https://www.net.site/visité/le/13/06/2021/à/11h00/>.

⁵⁶ - مونتيسكيو- روح القوانين- م س، ص78.

⁵⁷ - سيد قطب- العدالة الإجتماعية في الإسلام- دار الشروق القاهرة، 1987، ص76.

⁵⁸ - سيد قطب - العدالة الإجتماعية في الإسلام- دار الشروق القاهرة، 1987، ص173.

وفي هذا المجال يرى سيد قطب أنه: " لم أستسغ حديث من يتحدثون عن اشتراكية الإسلام وديمقراطية الإسلام، وما إلى ذلك من الخلط بين نظام من صنع الله سبحانه، وأنظمة من صنع البشر، تحمل طابع البشر وخصائص البشر من النقص والكمال، والخطأ والصواب، والضعف والقوة، والهوى والحق"⁵⁹. وعليه فالديمقراطيات اليوم لا تخلو من تناقضات بين النظرية والتطبيق. وعلى سبيل المثال لا الحصر؛ فمناهضة التمييز في أمريكا. والمطالبة بحرية التعبير في فرنسا، تشكل بعض الأمثلة على زيف هذه الديمقراطية التي يتم الترويج لها عالمياً. وعلى المستوى العربي حدث ولا حرج. فالصراعات بين السلطات على أشدها؛ تتخللها اضطرابات اجتماعية، تأتي في مقدمتها الجزائر؛ حيث يطالب الشعب بتغيير النظام وبأبى هذا الأخير إلا أن يستمر في الحكم، رافعا شعار الديمقراطية والشعبية....

وانطلاقاً من كون الله سبحانه شرع لنا من الدين ما وصى به الأنبياء. فإننا نكون على توافق تام وكامل؛ لأننا لن نختلف على وضع الدستور والقوانين والشرائع الدنيوية. ولن تطغى فئة بالإستفراد بوضع ذلك خدمة لمصالحها الضيقة. ومن حسنات هذا النظام أنه كفيل بإقرار العلاقة بين الراعي والرعية على أسس من السلام والعدل والطمأنينة. التي ينهض عليها بناء السلام الإجتماعي سليماً راسخ الأركان. فالحاكم لا يصل إلى مكانه إلا عن طريق واحد هي رغبة الشعب المطلقة واختياره الحر. وتبقى كذلك مكانته عن طريق طاعة الله والعمل بشريعته⁶⁰.

واستندت مواقف الدين الإسلامي من الديمقراطية في مبدأ المساواة أمام القانون وأمام القضاء والتوظيف⁶¹. وهو ما يغيب في جل الدول العربية منها والغربية حتى. رغم أن كلا من محمد باقر الصدر المرجع الشيعي⁶²، والسيد قطب⁶³ يريا أن الديمقراطية تخالف التعاليم الإسلامية. بالإستدلال على أن العقيدة الإسلامية تؤمن بأن الحكم لله وحده، يقوم على العدل من الحكام والطاعة من المحكومين. ثم الشورى بين الحاكم والمحكوم. أما الديمقراطية فهي صنعة البشر⁶⁴.

ثانياً: بعض مظاهر الديمقراطية السياسية

الحقيقة أن الديمقراطية وتطبيقاتها عملية أكثر منها نظرية بشعاراتها. تحقق للفرد العيش الكريم من خلال مشاركته في تدبير الشأن العام المحلي أو الوطني. وذلك من خلال اتخاذ القرارات التي تخدم مصالح الجماعة وليس فئة معينة من صفوف المجتمع. وذلك عن طريق انتخابات نزيهة وشفافة يكون للفرد فيها دور متميز (أ). كما تتميز المغرب في مجال الديمقراطية بألية جديدة هي النموذج التنموي الجديد (ب).

أ: الانتخابات كوسيلة في الديمقراطية

59 - سيد قطب- العدالة الإجتماعية في الإسلام- دار الشروق القاهرة، 1987، ص78.
60 - هاشم مرتضى- الديمقراطية؛ وجهات نظر إسلامية- م س، ص84.
61 - علي الدين هلال- مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث- مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان 2002، ص73.
62 - هاشم مرتضى- الديمقراطية؛ وجهات نظر إسلامية- مركز أور للدراسات، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد 2008، ص82.
63 - سيد قطب - العدالة الإجتماعية في الإسلام- دار الشروق مصر 1985، ص72.
64 - لمزيد من المعلومات يراجع: علي الدين هلال- مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث- مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان 2002، ص72.

إذا كان الفرد محور الديمقراطية. فهل يمكن للإنتخابات كآلية سياسية ديمقراطية أن تحقق حكم الشعب لنفسه؟ (1). علما أن توماس جيفرسون قال: " لا تزيد الديمقراطية عن كونها حكم الغوغاء. حيث يمكن لواحد وخمسين في المائة من الشعب استلاب حقوق التسعة وأربعين في المائة الآخرين" ⁶⁵. ما يدعو للتساؤل عن دور الفرد في العملية الإنتخابية ومدى احترامها لشروط الديمقراطية؟ (2).

1: الإنتخابات وتحقيق حكم الشعب

مع ظهور الفكر الليبرالي الذي يبنّي على حرية الإنسان وإرادته واختياراته، التي يجب أن يعبر عنها بنفسه وبصورة حرة وبأي مقدار ممكن. تولدت الديمقراطية التي تعني أن التصميمات والقرارات السياسية يجب أن تتخذ بصورة جماعية وبالإنتخاب الحر للأفراد ⁶⁶ (1-1). غير إن الواقع العملي لهذه المجالس المنتخبة أبانت عن فشلها في تحقيق ديمقراطية الشعب (2-1).

1-1: الإنتخابات وتحقيق المصالح الفئوية

كان سياسيو الإغريق الذين يعيشون ضمن الحكومة الشعبية لا يعترفون بغير الفضيلة قوة تستطيع أن تؤيدهم. وأما سياسيو اليوم فلا يحدثوننا سوى عن المصانع والتجارة والأموال والثروات وعن النعيم أيضا ⁶⁷. وتتنافس النخبة السياسية فيما بينها على شكل أحزاب سياسية لكسب الآراء من أجل الوصول إلى دفة الحكم لمدة معينة ⁶⁸. وما يؤكد هذا الطرح هو استماتة البرلمانيين والوزراء على المبالغ الطائلة للتقاعد. في نفس الوقت الذي لا يستفيد فيه الموظف البسيط من التقاعد إلا إذا أتم السن التقاعد القانونية - التي تم رفعها حاليا - نظرا للضائقة المالية التي يعرفها المغرب على مستوى صندوق التقاعد.

فتقاعد كل وزير يكلف خزانة الدولة 39000 درهم. وتقاعد البرلماني قد يصل إلى 30000 درهم شهريا ومدى الحياة. حيث يستفيد البرلماني الذي أكمل الولاية التشريعية (مدة الولاية 05 سنوات) من معاش يقدر ب 5000 درهم صافية (500 دولار). معفية من الضريبة على الدخل وغير خاضعة لأي تصريح بغض النظر عن سنه. بينما يتقاضى أعضاء الحكومة ابتداء من نهاية مهامهم معاشا يقدر ب 39000 درهم بالنسبة للوزراء. و30000 لكتاب الدولة بغض النظر عن المدة التي قضوها في هذه المسؤولية، شرط عدم توفرهم على مداخيل أخرى. أما إذا كان للوزير السابق دخل؛ فإن القدر الذي يصرف له يكون الفرق بين هذا الدخل و39000 ⁶⁹.

وهكذا بلغت تعويضات النواب 174 مليون و 420 ألف درهم أي ما يعادل 17.42 مليار سنتيم ⁷⁰. مع العلم أن صندوق تقاعد المستشارين (الغرفة الثانية) سيصل إلى الإفلاس سنة 2023. نظرا لمحدودية موارده ولتزايد

⁶⁵ - <https://www.oujdacity.net>. site visité le 13/06/2021 à 11h00.

⁶⁶ - هاشم مرتضى- الديمقراطية؛ وجهات نظر إسلامية- م س، ص 49.

⁶⁷ - مونتيسكيو- روح القوانين- م س، ص 76.

⁶⁸ - هاشم مرتضى- الديمقراطية؛ وجهات نظرية إسلامية- م س، ص 66.

⁶⁹ - www.oujdacity.net. site visité le 27/06/2021 à 14h00.

⁷⁰ - www.hespress.com du 21/12/2020. Site visité le 28/06/2021 à 12h00.

عدد المستفيدين من المعاش⁷¹. في نفس الوقت الذي تكون فيه مهمة نبيلة محددة في الزمان والمكان. الأمر الذي أحدث جدلاً سياسياً لكونه ريعاً سياسياً. يمكن أن يستفيد منه المواطنون في دولة ديمقراطية حقيقية. وبذلك يجرم الشعب من أكثر المزايا والخصوصيات المتوخاة حصولها في ظل حياة سياسية ديمقراطية. حيث يقول نعوم جامسكي بأن هناك مجالات عامة وواسعة تفسح المجال للشعب ليقرر مصيره السياسي والإقتصادي، وكلما كانت المجالات أكثر نطاقاً كانت الديمقراطية أنجح. إلا إنه هناك قوى خاصة ليبرالية تسعى جاهدة لتحديد وتقليص هذه المجالات العامة بواسطة عقد قرارات التجارة الحرة. وذلك لضمان انتقال حق تقرير الحياة السياسية والإقتصادية من الشعب إلى نخبة قليلة مستبدة، تعمل خفية ودون أية رقابة من قبل الشعب⁷².

1-2: فشل النموذج الانتخابي في ترسيخ الديمقراطية

تعد الانتخابات بمثابة آلية تقنية للمشاركة السياسية. وهي أساس "الديمقراطية" كوسيلة صالحة لتأمين سيطرة المواطنين على عملية تعيين حكامهم. لذا تصور مجمل كتب القانون الدستوري هذه الوسيلة كدليل على التقدم، وهي تجاوز لطرائق الإستبداد⁷³. إلا إنه ولغايات سياسية ومن أجل إقصاء بعض الخصوم السياسيين يتم التلاعب بقاعدة الانتخابات. فمرة يحسب عدد المقاعد المحصل عليها انطلاقاً من قاعدة عدد المسجلين. ومرة أخرى من قاعدة عدد المصوتين.

والإنتخابات كآلية ديمقراطية تقوم على الفصل بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي. ولم تكن إلا وسيلة لإعادة إنتاج الفوارق الطبقة⁷⁴. حيث يرى البعض أن الديمقراطية أكثر من صناديق الاقتراع⁷⁵. وأن الشيء المقرف في الديمقراطية أنك تضطر لسماع الأحمق⁷⁶. حيث يبقى رأي أعظم الدولة بمثابة قاعدة للمواطنين الآخرين الذين عليهم دائماً اتباعه. ويبقى من الطبيعي أن أولئك الذين اشتروا وظائفهم السيادية أن يعوضوا أنفسهم متى كانوا قد بلغوا السلطة بقوة المال⁷⁷.

وفي مجال خدمة المصالح الفئوية للهيئات المنتخبة. أقرت أعلى هيئة تشريعية في الصين بالإجماع قانوناً جديداً للأمن القومي في 30 يونيو 2019. ذلك لكونه جاء إثر المظاهرات في هونغ كونغ للمطالبة بالحرية وحماية حقوق الإنسان. ودخل حيز التنفيذ في الإقليم في نفس اليوم قبل منتصف الليل بقليل. وفرضت السلطات الصينية القانون دون أي مساءلة أو شفافية: إذ تم تمريره بعد أسابيع فقط من الإعلان عنه، متجاوزاً مجلس التشريع المحلي في هونغ كونغ. وأبقى نصه طي الكتمان عن الجمهور وحتى عن حكومة هونغ كونغ - بحسب مزاعم - إلى حين صدوره⁷⁸.

⁷¹ www.alaraby.co.uk. Site visité le 28/06/2021 à 12h30.

⁷² - هاشم مرتضى- الديمقراطية؛ وجهات نظر إسلامية- م س، ص 74.

⁷³ - ميشال مياي- دولة القانون؛ مقدمة في نقد القانون الدستوري- مجلد 1، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع لبنان 1985، ص 94.

⁷⁴ - رقية المصدق- القانون الدستوري والمؤسسات السياسية- ج 1، ط1، دار توبقال للنشر الدار البيضاء 1986، ص 122.

⁷⁵ - من أقوال محمد البرادعي في الديمقراطية <https://www.net.site> visité le 13/06/2021 à 11h00

⁷⁶ - من أقوال الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكرت <https://www.net.site> visité le 13/06/2021 à 11h00.

⁷⁷ - أرسطو طاليس- السياسة- م س، ص 182.

⁷⁸ - www.amnesty.org. site visité le 27/06/2021 à 13h00.

بينما في المغرب كان لمشروع القانون رقم 22.20 الذي أضافته حكومتنا إلى جدول أعمالها. والمتعلق باستخدام الشبكات الإجتماعية وما شابه ذلك⁷⁹. حيث قدمه وزير العدل كجزء من الإجراءات القانونية والمؤسساتية لمكافحة النماذج الجديدة للجرائم الإلكترونية. إلا إن مغردون وصفوه بـ "قانون تكميم الأفواه". معبرين عن قلقهم من تأثيره على حرية الرأي والتعبير و "الانتقام" ممن سبق ودعوا لمقاطعة شركات ومؤسسات وطنية "متهمه بالفساد". ووصف القيادي المعارض عبد اللطيف وهي المشروع بـ "قانون تكميم المغاربة". مضيفاً أن من حق الشركات عرض منتجاتها ومن حق المواطنين معارضة تلك المنتجات⁸⁰.

وكان أيضا لمشروع قانون الأمن الشامل الفرنسي لسنة 2020 الذي تقدمت به الكتلة البرلمانية للحزب الحاكم "الجمهورية إلى الأمام". ولقي معارضة شديدة من قبل المنظمات الحقوقية ووسائل الإعلام⁸¹. حيث أثار جدلا كبيرا في البلاد. إذ اعتبرت عدة أطراف أنه يضيق على الحريات، ويعزز سلطات الشرطة في المراقبة، ويجرم نشر صور أفرادها أثناء تدخلهم لضبط الأمن. وهكذا تريد الحكومة منع الصحافة من كشف حقيقة تجاوزات الشرطة. إلا إنه تزامنا مع بدأ النواب مناقشة مشروع القانون شارك آلاف الفرنسيين في مظاهرات نظمت للعديد من المدن للتنديد بالقانون⁸².

ومن الأمثلة على فشل هذا النموذج الإنتخابي كآلية ديمقراطية انتقاد الغرب لإنتخابات إثيوبيا في يونيو 2021 بسبب اعتقالات في صفوف المعارضة⁸³. وقد كانت إثيوبيا يضرب بها المثل في التنمية والديمقراطية على الصعيد الإفريقي. كما كان أيضا للبرلمان في أوروبا وأمريكا دور في تحديد وزيادة الضرائب باسم الديمقراطية⁸⁴. وفي المغرب أبانت أزمة كوفيد 19 عن هشاشة مجموعة من البنيات التحتية الوطنية. بينما كانت الدول التي استحضرت البعد الإنساني من خلال إشراك الشعب في سياساتها، خرجت من الأزمة بشكل غير مسيء مثل نيوزيلاندا واليابان ورواندا. حيث كانت لكل منها رؤية خاصة لكنها أجمعت على جعل الساكنة مسؤولة. وفي نفس السياق أبانت أيضا الجائحة السالفة عن غياب تام لدور الأحزاب والهيئات المنتخبة المنبثقة عنها في لعب دور ريادي وهام لتدبير الشأن العام وتأطير المواطنين. فالديمقراطية تعني انكباب النائب المنتخب والمؤتمن على انشغالات المواطنين وعلى واقعهم الإجتماعي، في أفق ضمان حماية ومساعدة لمختلف المصالح المتضررة فيه، واستجابة آنية للمتغيرات الطارئة⁸⁵.

2: دور الفرد في الإنتخابات

يمكن اختزال دور الفرد حاليا في عملية الإنتخابات كما رآه أفلاطون في كون الفرد السياسي هو الحر، والآخرون جعلوا للرق والطاعة. فالفرد في المجتمع لا يملك نفسه ولا يستطيع أن يخدم المجتمع إلا كما تكون

79 - صادق المجلس الحكومي المنعقد يوم 19 مارس 2020 على مشروع القانون رقم 20-22 المتعلق باستعمال شبكات التواصل الإجتماعي وشبكات البث المفتوح والشبكات المماثلة، والذي قدمه وزير العدل ويتكون من 25 مادة. على الموقع: www.marocdroit.com، تم التصفح بتاريخ 2021/03/10 على الساعة 13 و00 د.

80 - على الموقع: www.bbc.com، تم التصفح بتاريخ 2021/03/10 على الساعة 10 و30 د.

81 - www.aljazeera.net. Site visité le 27/06/2021 à 12h00.

82 - www.france24.com. Site visité le 27/06/2021 à 12h30.

83 - أخبار قناة الجزيرة ليوم 2021/06/26 على الساعة 12 و15 د.

84 - علي الدين هلال- مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث- م س، ص 8.

85 - سعيد بوتشكوش- القانون والفعل العمومي: بين إعادة التمركز والإمتداد- easyhear, N°5026, February 25, 2021, P8,10.

الدواب القوية التي يشركها الإنسان في أعماله. وهكذا يرى أفلاطون في المجتمعات غير الديمقراطية أن أفرادها خلقوا ليطيعوا. وهي نظرية الرق في كل ما لها من غور. ويضيف أرسطو أن العبد هو على الإطلاق مجرد من الإرادة كما لو أن الإنسان محروم الإرادة يظل مع ذلك إنساناً⁸⁶.

والديمقراطيات الحالية تقضي بإبقاء الشعب بعيداً عن اتخاذ القرارات السياسية وتسيير شؤونه بنفسه. ذلك أن صفة المواطن مرتبطة بالملكية الخاصة. حيث يدافع مونتيסקيو في كتابه روح القوانين عن أهمية الممثلين (أعضاء البرلمان) في قدرتهم على مناقشة الشؤون العامة، في حين أن الشعب ليس متمكناً من ذلك؛ لأنه مؤهل فقط لإختيار ممثلين عنه وعاجز عن تنفيذ القرارات⁸⁷. وعلى عكسه كان روسو يطمح في إقامة جمهورية ديمقراطية شعبية يتحقق فيها حق الشعب في التشريع مباشرة دون وصاية⁸⁸؛ لأن الديمقراطية الليبرالية الجديدة تعمل على حماية المواطنين من استبداد القدرة السياسية عن طريق الانتخابات⁸⁹.

فبعد الانتخابات التي يمكن اعتبارها مجازاً وجهاً للديمقراطية، وبمجرد انتخاب المجموعة لا يبقى للناخبين سيطرة أو سلطة على التشريعات الموضوعية أو السياسة المتبعة. وهو ما يعكس وجود وتنامي المظاهرات والإضرابات والإضطرابات الإجتماعية. كما هي احتجاجات الحسيمة المعروفة بأحداث الريف. وما عرفته مدينة جرادة في دجنبر 2017 نتيجة للأوضاع الاقتصادية المزرية وقلة فرص الشغل.

فالديمقراطية وكما يحلو للبعض تسميتها ب"الجديدة" هي حكم الأقليات. حيث يكون المواطن فيها سوى ناخب، أو مقترض أو مستهلك. يبلغ إليه عن طريق وسائل الإعلام التي تحتكرها المجموعات الاقتصادية والمالية. ويكتفي باختيار نوابه الأكفاء والقادرين على اتخاذ القرارات⁹⁰. ثم لا يملك حق مراقبة النائب. ولا يبقى هذا الأخير على اتصال وثيق بالأول إلا عند اقتراب موعد الانتخابات. وهكذا تكون هذه الوكالة مجردة عن الأفراد المكونين لها، ويستقل الناخب عن ناخبيه مدة النيابة⁹¹.

وهكذا يتم الزعم أنه يعمل بالنظام النيابي كآلية ديمقراطية. إلا إننا نرى أنه نظام حكم الأقلية. إذ يفقد الناخب سلطته ومراقبته على النائب وعلى التشريعات والسياسة المتبعة. وكما قال نعوم تشومسكي: "للأسف لا يمكن لتخلص من الأوغاد عن طريق الانتخابات، لأننا لم ننتخبهم أصلاً"⁹².

ومن المفارقات الغريبة في هذا المجال أننا ندين لكل من أفلاطون وأرسطو بهذه النظريات التي تنطبق على يومنا بشكل أو بآخر. مع العلم أن الطبع الإنساني اليوم قد أجدت معرفته وصار أشد احتراماً. ومن الضرورات الإجتماعية مع موجة حقوق الإنسان العالمية. وهو ما يزيه أيضاً جان جاك روسو بالقول أن: "رصيد الديمقراطية الحقيقي ليس في صناديق الانتخابات فحسب، بل في وعي الناس"⁹³.

86 - أرسطو - السياسة - م س، ص 38.

87 - مونتيסקيو - روح القوانين - ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي المملكة المتحدة 2017، ص 59. على الرابط: www.hindawi.org، تم التصح بتاريخ 2021/06/22 على الساعة 14 و00.

88 - رقية المصدق - القانون الدستوري والمؤسسات السياسية - ج 1، ط 1، دار توبقال للنشر الدار البيضاء 1986، ص 118 و 121.

89 - هاشم مرتضى - الديمقراطية؛ وجهات نظر إسلامية - م س، ص 64.

90 - امحمد مالكي - القانون الدستوري والمؤسسات السياسية؛ المفاهيم الأساسية - ج 1، ط 2، تينمل للطباعة والنشر مراكش، 1994/1993، ص 191.

91 - رقية المصدق - القانون الدستوري والمؤسسات السياسية - ج 1، ط 1، دار توبقال للنشر الدار البيضاء 1986، ص 119.

92 - Noam CHOMSKY - www.eqtibasatwaqwall.com; site visité le 24/06/2021 à 10h00.

93 - <https://www.net.net>. site visité le 13/06/2021 à 11h00.

وهذا النمط التاريخي عن الفرد في الديمقراطية يؤكد أن الظواهر الماضية تتكرر في الإستعمال في شكل أحداث اجتماعية وسياسية. اغترفت من بيسيكولوجيا القرن 21 وتقنياته. حيث تتطابق في الإستبدال غير الشرعي لمنفعة خاصة بالمنفعة العامة.

ب: النموذج التنموي الجديد بالمغرب والديمقراطية

جاء مشروع النموذج التنموي الجديد في المغرب لرسم ملامح نموذج تنموي متجدد وفق مقارنة تشاركية وشاملة. من خلال تشخيص دقيق وموضوعي للوضع الحالي، بغية رصد الإختلالات التي يجب تصحيحها من خلال تحسين العدالة الجبائية وتوسيع الوعاء الضريبي، وترشيد النفقات الجبائية خصوصا ما يتعلق بالإعفاءات. ما يبدو معه أن هذا الورش الإصلاحية الكبير يتم وفق مقارنة ديمقراطية (1). لكن غابت عنه مظاهر المحاسبة في فشل النظام التنموي السابق(2).

1: ديمقراطية النموذج التنموي الجديد

عين جلالة الملك محمد السادس اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي الجديد يوم 12 ديسمبر 2019. وهي ذات طابع استشاري. تنحصر مهامها في أفق زمني محدد لرسم ملامح نموذج تنموي متجدد وفق مقارنة تشاركية وشاملة(1-2). وذلك من خلال تشخيص دقيق وموضوعي للوضع الحالي، بغية رصد الإختلالات التي يجب تصحيحها(1-1).

1-1: شمولية النموذج التنموي الجديد

جاء في خطاب جلالتة: "قررنا تكليف لجنة خاصة مهمتها تجميع المساهمات وترتيبها وهيكلتها، وبلورة خلاصاتها في إطار منظور استراتيجي شامل ومندمج. على أن ترفع إلى نظرنا السامي مشروع النموذج التنموي الجديد مع تحديد الأهداف المرسومة له، وروافد التغيير المقترحة وكذا سبل تنزيله"⁹⁴. كما إن الدعامة الثالثة التي يركز عليها النموذج التنموي الجديد هي إرساء سياسة جبائية أكثر فعالية، من شأنها تعبئة موارد إضافية تقدر بنسبة تتراوح ما بين 2 و3 في المائة من الناتج الداخلي الخام. من خلال تحسين العدالة الجبائية وتوسيع الوعاء الضريبي، وإدماج القطاع غير المهيكّل، وترشيد النفقات الجبائية خصوصا ما يتعلق بالإعفاءات⁹⁵.

ومن الأهداف التي رصدها التقرير ؛ الرفع من نسبة الاستثمار الخاص ليصل ل 65% من الإستثمار الإجمالي. بالإضافة إلى الرفع من عدد الشركات المصدرة إلى 12 ألف شركة. كما يطمح النموذج التنموي الجديد إلى زيادة في عدد المقاولات الناشئة، لتصل 3000 مقاوله. وأيضا تسجيل ألف براءة اختراع سنوياً . بالإضافة إلى الوصول إلى 300 شركة مدرجة في البورصة. مع مساهمة الإقتصاد الإجتماعي في القيمة المضافة ب 8%. وفي تفاصيل الأهداف التي سطرها النموذج التنموي الجديد بالمغرب الوصول إلى نسبة تسعين بالمائة من التلاميذ المسجلين في السنة الأولى من التعليم الإبتدائي . الذين أكملوا تعليمهم الإلزامي وحصلوا على شهادة

⁹⁴ - من خطاب جلالة الملك محمد السادس أمام أعضاء مجلسي البرلمان بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الثالثة من الولاية التشريعية العاشرة في 2018/10/12.

⁹⁵ - www.hespress.com, vue le 27/05/2021 à 15h00.

التعليم الأساسي العام أو المهني . وفي نفس السياق يُتوقع أن تبلغ نسبة التلاميذ الذين يتقنون القراءة والرياضيات والعلوم 75% من مجموع تلاميذ المملكة.

وعلى مستوى الخدمات الصحية ؛ يطمح النموذج الجديد إلى رفع نسبة الساكنة المشمولة بالعلاجات الطبية الأساسية إلى 100% في أفق سنة 2025. مع الرفع من الأطر الطبية المعالجة لكل 1000 نسمة لتصل 4.5 في المائة. مُشدداً على أن النفقات الصحية المباشرة التي تتحملها الأسر لن تتجاوز نسبة الـ 30%. وفي هذا الصدد، يطمح النموذج إلى تحقيق مؤشر 1 في المائة على مستوى فعالية الحكومة. مع رقمنة جميع المساطر والإجراءات الإدارية للمواطن والمقاولة . كما يعمل النموذج على إلغاء 80% من التراخيص الإدارية واستبدالها بدفاتر التحملات، في أفق الوصول إلى معدل 80% من رضا المواطنين إزاء الخدمات العمومية . وإنترنت يمكن من تأمين التعليم عن بعد بكل أرجاء البلاد بحلول سنة 2025. وأيضاً بلوغ حصة الرقمي في الناتج الداخلي الخام 5% في أفق سنة 2030. أما على مستوى الإستثمارات الأجنبية المباشرة في المجال الرقمي، فيطمح النموذج للوصول إلى ما نسبته 10% من إجمالي الإستثمار الأجنبي المباشر في أفق سنة 2030⁹⁶.

1-2: إشراك مختلف شرائح المجتمع المغربي في الرأي والمشورة

وعبر مناقشة المؤسسات والفاعلين الإقتصاديين والمواطنين تواصلت اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي الجديد مع 6719 شخصا في تفاعل. و 3 مليون شخص في تفاعل عبر شبكات التواصل الإجتماعي. كما توصلت بـ 6600 اقتراح مكتوب. وقامت بعقد 70 جلسة استماع، و 30 زيارة ميدانية و 113 ورشة عمل⁹⁷. وهو ما يعطي الإنطباع على ديمقراطية عمل اللجنة من خلال إشراك شرائح واسعة من المجتمع المغربي. وتم إعداد هذه التوصيات بناء على تواصل أكثر من 9700 شخص بشكل مباشر مع اللجنة . و 1600 من خلال جلسات الإنصات والإستماع و 8000 عبر آليات مشاوره موسعة . فيما توصلت اللجنة بأكثر من 6600 مساهمة مكتوبة : منها 270 تمت بشكل مباشر، و 2530 عبر المنصة الرقمية للجنة . فيما 3800 مساهمة تندرج في إطار دعوات المساهمة الموجهة إلى التلاميذ والطلبة ونزلاء المؤسسات السجنية⁹⁸.

وفي سياق هذا النموذج التنموي القدم والجديد، عرف المغرب موجة من الإضطرابات الإجتماعية ضد الفقر والتهميش والبطالة، والفوارق الإجتماعية والمجالية. وكان للمجتمع رد فعل ضد الإرغام الناتج عن الحالة الإجتماعية. وكما قال عباس محمود العقاد: " قبل أن تنشأ في الأمة ديمقراطية سياسية، يجب أن تسبقها الديمقراطية الإجتماعية"⁹⁹.

ورفضا لعلوية المسؤولين والتمييز الإجتماعي الذي لحق الشعب من طرفهم كحكام؛ لأن الحرية الطبيعية ترفض كل خضوع إجتماعي. لكنها ترغب في حرية إجتماعية وسياسية تخلق نظام حكم يدمج الحرية في العلاقات

⁹⁶ - حمزة العين- النموذج التنموي الجديد في المغرب.. أرقام وطموحات- العين الإخبارية ليوم الخميس 2021/05/27. على الرابط: www.AI.ain.com، تم التصفح بتاريخ 2021/06/29 على الساعة الواحدة بعد الزوال.

⁹⁷ - www.csmd.ma, site visité le 27/05/2021 à 15h00.

⁹⁸ - حمزة العين- النموذج التنموي الجديد في المغرب.. أرقام وطموحات- العين الإخبارية ليوم الخميس 2021/05/27. على الرابط: www.AI.ain.com، تم التصفح بتاريخ 2021/06/29 على الساعة الواحدة بعد الزوال.

⁹⁹ - https://حكم.net. site visité le 13/06/2021 à 11h00.

السياسية؛ أي العلاقة التي تقوم على الأمر والطاعة الملازمة لكل مجتمع منظم سياسياً¹⁰⁰. يحكمها القانون أفقياً وعمودياً، وترتبط المسؤولية بالمحاسبة.

2: غياب المحاسبة في النظام الديمقراطي المغربي

يعتبر مبدأ المساءلة والمحاسبة ركناً أساسياً في أي نظام ديمقراطي حقيقي؛ لأنه مرتبط بدور البرلمان والمجتمع المدني والإعلام والقضاء المستقل والخدمة المدنية الفعالة (1-2). والأهم من ذلك تأكيد حق المواطنة. إذ يشعر المواطن العادي بأنه شريك في الثروة والسلطة فعلياً حين يتابع كيف تصرف موارد الدولة. ويصل لحد المشاركة في محاسبة الفاسدين والمتلاعبين بمقدرات المواطن¹⁰¹. وهو الأمر الغائب في النموذج التنموي الجديد بالمغرب (2-2).

1-2: المحاسبة ركن في الديمقراطية

مع أواخر القرن العشرين بدأت المحاسبة تأخذ شكلاً وتجاهاً جديداً، متأثرة بالتيارات السياسية الجديدة. لذلك ينبغي على المحاسبة الجديدة فهم التيارات السياسية الجديدة. إذ لطالما بنيت المحاسبة التقليدية على مفاهيم وفرضيات الإقتصاد الليبرالي؛ لارتباط المحاسبة والإقتصاد بعلاقة وثيقة الصلة. كما ارتبطت السلطة السياسية بالإقتصاد وتنافسها على تحقيق المنفعة الذاتية في عالم الأسواق الحرة. وجاء الوقت الذي يجب أن تتعد فيه المحاسبة عن المونولوجية، وأن تراعى مصالح ومنافع المجتمع، من خلال تركيز الجهود البحثية نحو إيجاد المنهج البديل عن المنهج الذي يطغى على الفكر المحاسبي السائد¹⁰².

وعلاقة بهذا الموضوع؛ وفي إطار العلاقة بالنموذج التنموي الجديد المرتبط بالسياسة الجبائية، والبحث عن مداخل إضافية لخزينة الدولة من الشعب. نتساءل عن مصير النظام السياسي الذي اقترن بالديمقراطية كل هذه السنوات؟. بينما في 2021 يتم الاعتراف بفشله على شتى المجالات الإقتصادية والإجتماعية المرتبطة بتجليات الديمقراطية. وهو أمر محمود؛ لأن الاعتراف بالخطأ فضيلة، والأحسن منه هو اكتساب القدرة لتصحيحه. إلا إننا نتساءل كيف يمكن لمن كان جزءاً من المشكلة من السياسيين أن يكون جزءاً من الحل أيضاً؟. كيف لمن لم يستطع السير بالبلاد قدماً نحو التنمية والتقدم من النخب السياسية أن يسير بها الآن بعدما أُلّف نفس طريق الفشل؟.

حيث إن التجاوزات السالفة تقوض سيادة القانون. وتفرض على الدولة لتنفيذ النموذج التنموي الجديد تدبير إيرادات من مصادر أخرى؛ بما فيها طريق الضرائب التنازلية كضرائب الإستهلاك، التي تقع وطأها على الفقراء. وتحد من تأثير البرامج الإجتماعية المتعلقة بإعادة توزيع الثروة. من خلال تمويل هذه البرامج من طرف الفقراء الذين يفترض أن يستفيدوا منها¹⁰³؛ لأنه لم تتم معالجة الصعوبات المرتبطة بضيق القاعدة الضريبية بشكل

¹⁰⁰ - علي الدين هلال- مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث- مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان 2002، ص70.
¹⁰¹ - حيدر إبراهيم علي- ثقافة المساءلة والمحاسبة.. شروط الحكم الديمقراطي الراشد..- مقال بتاريخ 2021/04/14 على

الرابط: www.dabangasudan.org، تم التصفح بتاريخ 2021/06/29 على الساعة 14 و00د.
¹⁰² - إيمان محمد عبد الله- المحاسبة والديمقراطية: استمرارية المحاسبة التقليدية بين منطق الفردية ومنطق الحوارية لتحقيق الديمقراطية- مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مجلد 23، العدد4، جامعة بابل العراق 2015، ص1646.

¹⁰³ - خوان بابلو بوهوسلافسكي- الدراسة النهائية عن التدفقات المالية غير المشروعة وحقوق الإنسان- مجلس حقوق الإنسان، الجمعية العامة للأمم المتحدة، 2016، ص10. على الموقع: www.ohchr.org، تم التصفح بتاريخ 2021/01/03 على الساعة 11 و00د.

صحيح. والحال أنها تشكل عام لا يزيد من محدودية الحيز الميزانياتي للدولة ، ومن قدرتها على إطاق سياسات لمواجهة التقلبات الدورية.

الموارد المالية المفقودة متصلة بالضرائب: التهرب الضريبي من جانب الأفراد ذوي الأرصدة المالية الضخمة. والتهرب الضريبي التجاري عن طريق التلاعب بالفواتير التجارية. وتجنب دفع الضرائب من جانب الشركات عبر الوطنية والرشوة والفساد. والتدفقات المالية غير المشروعة هي تدفقات مالية غير مسجلة تشمل أموالا اكتسبت أو حولت أو استخدمت بصورة غير قانونية؛ كأن تكون من أنشطة غير قانونية مثل الجريمة والفساد. أو أن تكون أموالا من مصادر مشروعة تم نقلها إلى الخارج في انتهاك للقوانين المحلية مثل الأنظمة الضريبية. أو الأموال ذات المصدر المشروع المستخدمة في أغراض غير مشروعة مثل تمويل الإرهاب¹⁰⁴.

لذلك لم يكن لثقافة المساءلة والمحاسبة أي وجود . وهذا يعني غياب الحرية وروح المواطنة. ومع غياب المحاسبة والمساءلة يفتح باب الفساد واسعا ويغدو عاديا وطبيعيا. ويتعايش الناس مع الفساد، بل قد يعتبر شطارة ونجاحاً. ثم يتقاعس المجتمع المدني عن القيام بواجب ملاحقة المفسدين والفاستدين . بل قد يمتد الفساد إلى المجتمع المدني نفسه أو إلى الكيانات التي يفترض فيها مكافحة الفساد. وه و ما يمكن اعتباره تطبيع مع الفساد؛ أي أن يكون الفساد أمرا طبيعيا في المجتمع ولا يثير الإستهجان والإدانة¹⁰⁵.

وعليه يجب اعتماد منهج بديل للمحاسبة. الذي هو من مفاهيم الديمقراطية السياسية المبنية على النظريات السياسية المعاصرة الجديدة . التي ظهرت باسم الديمقراطية التداولية والديمقراطية التعددية التصارعية لتساهم في البناء الفكري للمحاسبة الجديدة . على أن هذا التغيير في قواعد اللعبة السياسية لا يبعد المحاسبة الحوارية عن تأثيرات السياسة في بناء قواعد المجتمع الجديد وفق مفاهيمها . ولما كانت المحاسبة لغة الأعمال فرقم المحاسبي سلطة. وله دور كبير في تنفيذ التغييرات الإجتماعية المطلوبة ، على أن تستخدم هذه السلطة من أجل الصالح العام¹⁰⁶.

2-2: المحاسبة ضرورة لإنجاح النموذج التنموي الجديد

في أكتوبر 2017، جاء الملك إلى البرلمان وأعلن في افتتاح الدورة التشريعية عن نهاية صلاحية النموذج التنموي الذي يتبعه المغرب. قائلا: "إذا كان المغرب حقق تقدما ملموسا يشهد به العالم . إلا أن النموذج التنموي الوطني أصبح اليوم غير قادر على الإستجابة للمطالب الملحة والحاجيات المتزايدة للمواطنين، وغير قادر على الحد من الفوارق بين الفئات ، ومن التفاوتات الجالية، وعلى تحقيق العدالة الإجتماعية"¹⁰⁷ . ودعا الملك إلى "تسمية

¹⁰⁴ - خوان بابلو بوهوسلافسكي- الدراسة النهائية عن التدفقات المالية غير المشروعة وحقوق الإنسان- م س، ص 5 و4.
¹⁰⁵ - حيدر إبراهيم علي- ثقافة المساءلة والمحاسبة . شروط الحكم الديمقراطي الراشد..- مقال بتاريخ 2021/04/14 على

الرابطة: www.dabangasudan.org، تم التصفح بتاريخ 2021/06/29 على الساعة 14 و00د.
¹⁰⁶ - إيمان محمد عبد الله- المحاسبة والديمقراطية: استمرارية المحاسبة التقليدية بين منطق الفردية ومنطق الحوارية لتحقيق الديمقراطية- مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مجلد 23، العدد4، جامعة بابل العراق 2015، ص1646.

¹⁰⁷ - من الخطاب الملكي السامي في افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية 2017-2018. بتاريخ 13 أكتوبر 2017. على الموقع: www.parlement.ma، تم التصفح بتاريخ 2021/07/08 على الساعة 12 زوالا.

الأمر بمسمايتها دون مجاملة أو تنميق واعتماد حلول مبتكرة وشجاعة، حتى وإن اقتضى الأمر الخروج عن الطرق المعتادة أو إحداث زلزال سياسي¹⁰⁸.

شكل هذا الخطاب حدثاً نادراً وغير مسبوق في المنطقة العربية . وكان اعترافاً بفشل الرهانات الإستراتيجية للدولة . أتى في سياق تراكمات وتفاعلات اجتماعية وسياسية، على رأسها الحركات الشعبية التي اندلعت في عدد من المدن والجهات . تتقدمها الإنتفاضة الشعبية لحركة " 20 فبراير 2011" . و"حراك الحسيمة في الريف" بشمال البلاد (2016). وما تلاه من حركات مماثلة في جرداة وإيمزرون وأوطاط الحاج وزاكورة وغيرها من المدن¹⁰⁹.

وعليه فإن الديمقراطية السالفة بشتى مظهراتها التنموية السوسيو-اجتماعية والسوسيو -اقتصادية لم تتوصل إلى ضمان التراكم الإقتصادي من أجل ازدهار المجتمع، وتوفير الفائض لضمان تلك الرفاهية. حيث إن هناك مقدرات نُهبت وبنيت اجتماعية-اقتصادية فككت. وليس القصد هنا أن نضع كل إخفاقاتنا وعشراتنا على كاهل الحكومات المتعاقبة. بل القصد أن نذكر بربط المسؤولية بالمحاسبة في دولة الحق والقانون. وليس أن نمنح المسؤولين والوزراء تقاعداً بعد إعفاءهم أو انتهاء مهامهم. فكما قال ألكسي دوتو كفييل: " لا ديمقراطية دون محاسبة. وإلا انكفأ الأختيار وتمادى الأشرار"¹¹⁰.

ولا يمكن فعل نفس الأمر مرتين بنفس الأسلوب، ونفس الأشخاص تحت ذريعة الديمقراطية. ونتتظر نتائج مختلفة. فقبل كل شيء وبعد تحديد المسؤوليات التي تسببت في فشل النموذج التنموي القديم. والقيام بمحاسبة المقصرين والمخطئين كشكل من أشكال الديمقراطية الحديثة. حينها يمكن الإنطلاق قدماً نحو النموذج التنموي الجديد. المبني على قاعدة ربط المسؤولية بالمحاسبة التي يتبعها حتما العقاب الذي له دور وقائي وزجري في الآن نفسه. يمنع من تكرار نفس التقصير والإهمال في تدبير الشأن العام الوطني أو المحلي. ومن جملة الإنتقادات التي وجهت إلى اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي الجديد . ما أدلى به المفكر الإقتصادي نجيب أقصي حول سماح المغرب لصندوق النقد الدولي بالمساهمة في عملية صياغة مشروع النموذج التنموي الجديد. واستعداد صندوق النقد الدولي لمساعدة لجنة صياغة مشروع النموذج التنموي في تشكيل رؤيتها الجديدة للمغرب . حيث أوضح نجيب أقصي أن اختيارات صندوق النقد الدولي هي التي كانت وراء إفشال النموذج التنموي. وأن السماح بدخوله في عملية صياغة مشروع النموذج التنموي الجديد ، سيسمح بتكرار الفشل الذريع الذي أرسته سياساته بالبلاد منذ 50 سنة¹¹¹.

ونظراً لأهمية موضوع حقوق الإنسان وارتباطه بمخطط التنمية، وأهمية التطور الإيجابي لحقوق الإنسان في الإستقرار السياسي والأمني ، وفي التنمية الاجتماعية والإقتصادية . سلم " الائتلاف المغربي لهيئات حقوق

¹⁰⁸ - عبد الرحيم التوراني- حظوظ النموذج التنموي الجديد في المغرب- مقال على الرابط الحرة.كوم لتاريخ 2021/05/29. تم التصفح بتاريخ 2021/06/29 على الساعة 12 زوالاً.

¹⁰⁹ - عبد الرحيم التوراني- حظوظ النموذج التنموي الجديد في المغرب- مقال على الرابط الحرة.كوم لتاريخ 2021/05/29. تم التصفح بتاريخ 2021/06/29 على الساعة 12 زوالاً.

¹¹⁰ - <https://www.net.site/visité/le/13/06/2021/à/11h00>.

¹¹¹ - عبد الرحيم التوراني- حظوظ النموذج التنموي الجديد في المغرب- مقال على الرابط الحرة.كوم لتاريخ 2021/05/29. تم التصفح بتاريخ 2021/06/29 على الساعة 12 زوالاً.

الإنسان" مذكرته الخاصة حول الحريات العامة بالمغرب. وتضمن تقريره جملة من النواقص والإختلالات الموجودة في وضعية حقوق الإنسان بالمغرب . مضيفاً أن الإقرار الفعلي بفشل النموذج التنموي يعود إلى فشل الإختيارات السياسية والإقتصادية للدولة منذ عقود . فاقتصاد الربيع يعد اختياراً للسلطة منذ عقود، وسيادة الإفلات من العقاب اتجاه ناهبي المال العام، وانتشار الرشوة والفساد المالي في مختلف مناحي الحياة، وتشجيع التهريب وغياب المراقبة الفعلية. واحتكار كمشة من المنتفعين لمختلف المجالات الإقتصادية ، والإستحواذ على الثروات الوطنية والإستفادة منها عبر الإغتناء غير المشروع دون حسيب ولا رقيب ¹¹². والتي تعتبر من أهم المعوقات التي يجب محاربتها لبناء ديمقراطية وطنية فعالة. تهتم ببناء المواطن المغربي، وعبره بناء دولة الحق والقانون والرقابي بها.

خاتمة

من خلال ما سبق، يتضح أن الديمقراطية الحالية كشكل من أشكال السلطة لا تتركز على المشاركة السياسية للسلطة مع الشعب. بل تعتمد إحدى الخيارات السياسية التي ينفرد من خلالها أقلية قليلة بالحكم المطلق تحت مسمى الديمقراطية. وبذلك ترفع شعارات من قبيل دولة الحق والقانون، واحترام الحريات والحقوق. وبين هذا وذاك تفقد الديمقراطية مصداقيتها أثناء التطبيق؛ لإعتبارات سياسية أو براغماتية. وهي بالتالي مفهوم يتخذ صوراً وتطبيقات متباينة، تختلف عن أصل المفهوم الذي يعني المساواة بين أفراد المجتمع في الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية.

وعليه فإنه بسبب تغيير النظرة بالنسبة للفرد، المجتمع، الدولة والإقتصاد يمكن إيجاد أنظمة سياسية متنوعة يطلق عليها الديمقراطية. بينما هي ديمقراطية النخبة التي هي أداة ووسيلة من أجل انتخاب واختيار الحكومة الأوغرشيّة، التي تسعى لتحقيق المصلحة الخاصة على المصلحة العامة تحت مسمى الديمقراطية.

¹¹² - عبد الرحيم التوراني- حظوظ النموذج التنموي الجديد في المغرب- مقال على الرابط الحرة.كوم لتاريخ 2021/05/29. تم التصفح بتاريخ 2021/06/29 على الساعة 12زوالاً.